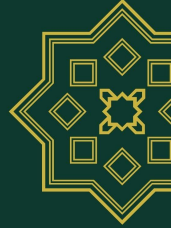
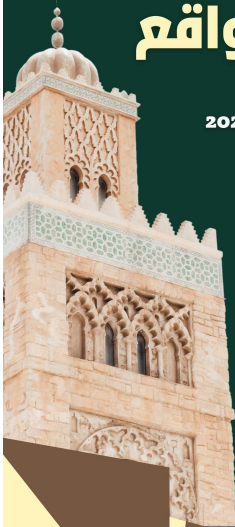




إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية  
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن  
**جهود علماء الغرب الإسلامي  
في تنزيل النص القرآني على الواقع**

بتاريخ: 22 و21 ربيع الثاني 1444 هـ / الموافق ل 15 و16 نوفمبر 2022



## توظيف تنزيل النص القرآني على الواقع في مقاصد التشريع "مقصد حفظ إنسانية الإنسان عند عبد المجيد النجار أنموذجا"

ط.د/ صفية فضلة، إشراف: د/ زهير بن كتفي  
قسم أصول الدين-كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي  
[fadla-safia@univ-eloued.dz](mailto:fadla-safia@univ-eloued.dz)  
[benketfi-zouhir@univ-eloued.dz](mailto:benketfi-zouhir@univ-eloued.dz)



### مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله.

### التعريف بالموضوع:

يعد النص الديني الركن الأساس الذي تقوم عليه الديانة، إذ منه تستقى العقائد والشرائع والأخلاق، غير أنه وبمرور الزمن قد تفقد هذه النصوص خاصيتها الأساسية وهي ملاءمتها للواقع المعاش، ينطبق هذا على عديد الملل والنحل البائدة منها، أو التي لم يبق منها إلا رسم خطته أيدي بشرية مشكلاً فصاماً بين التنظير الذي يحويه، والواقع الذي يعيشه معتنق هذه الديانة.

إلا أن الله ومن رحمته بعباده أن خصّ رسالته الخاتمة بالحفظ، وأن جعلها صالحة لكل زمان ومكان، وجعل هدايات القرآن لا تنضب، فعمل علماء ومفكرو الإسلام على استنطاق الآيات وتنزيلها على الواقع المعاصر، فكانت محاولة استنطاق الآيات وتوظيف تنزيل النص القرآني في مجالات عديدة، لعل من أبرزها ما كان في أصول الفقه وتحديدا فيما عرف بمقاصد الشريعة.

وقد أولى علماء الإسلام اهتماما بهذه المقاصد حتى ظهرت كعلم قائم بذاته، بداية من الشاطبي في كتابه الموافقات، وصولا إلى ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية.

ولا تزال الجهود قائمة في هذا العلم، خصوصا من علماء الغرب الإسلامي، إذ تعد إسهامات عبد المجيد النجار من المحاولات الرائدة في هذا المجال، منطلقا في إجابته على إشكالات الحاضر من خلال استنطاق الآي القرآني.

ولعل من أبرز الإشكالات الوافدة للعقل المسلم هي ما تعلق بالإنسان، وتحديدا بإنسانية الإنسان، التي غابت مؤخرا في الأوساط الفكرية مع انتشار التفكيكية والبعثية، وما إلى ذلك من أفكار وتيارات هدامة.

وقد عالج عبد النجار في معرض كلامه عن المقاصد الشرعية: مقاصد حفظ قيمة الحياة الإنسانية، من ناحية حفظ الدين، ومن ناحية حفظ إنسانية الإنسان.

### أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع في الحاجة الملحة له في هذا العصر سواء فيما تعلق بتنزيل النص القرآني على الواقع واستحضار الآيات القرآنية عمليا، أو ما تعلق بالحاجة لإبراز مقاصد الشريعة في أحوال الناس.

كما تظهر الحاجة لتسليط الضوء على إنسانية الإنسان في ظل ما يعيشه إنسان اليوم من امتهانٍ وهدر لقيمته وكرامته.

### الإشكالية:

ومن هذا المنطلق فإن الإشكالية المركزية التي تطرحها هذه الورقة هي: كيف عالج عبد المجيد النجار مقصد حفظ إنسانية الإنسان انطلاقا من توظيفه لتنزيل النص القرآني على واقع اليوم؟

### أهداف الدراسة:

بيان تنزيل عبد المجيد النجار للنص القرآني على الواقع من خلال الرؤية المقاصدية التي يطرحها فيما تعلق بمسألة الإنسان باعتبارها من أهم القضايا المطروحة في الواقع الإسلامي الراهن، فضلا عن الراهن الحضاري العالمي المعاصر.

### الدراسات السابقة:

ومن بين الدراسات التي عالجت هذا الموضوع نجد مقال بعنوان: تطور التنظير المقاصدي في العصر الحديث، شوقي الأزهر، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 23، العدد 90، 2017/1438، والذي قام فيه الباحث بتقويم التنظير المقاصدي بدءا من بن عاشور وما قدمه في هذا المجال ليصل إلى أهم إنجازات المعاصرين في هذا العلم، وهو مختلف عن بحثنا من خلال أنه دراسة للمسار المقاصدي برؤية تقويمية، بينما بحثنا اختص بالكلام عن جزئية من جزئيات المقاصد الشرعية وهي مقصد حفظ إنسانية الإنسان، ويتقاطع مع نقاط بحثنا في الجزء الأخير من بحثه والذي عنوانه بمحاولة رائدة والتي تكلم فيها عن إسهامات عبد المجيد النجار في الفكر المقاصدي.

أما بقية ما توصلنا إليه فهو إما متعلق بجانب من جوانب المقاصد الشرعية مختلفة عن نقاط بحثنا، أو متعلقة بشخصية غير الشخصية التي نحن بصدد البحث في الفكر المقاصدي عندها، كتلك المتعلقة بمقاصد العمران مثلا، والمعنونة بمقاصد العمران في الشريعة الإسلامية، من إعداد الطالب: إلياس بولفخاد، إشراف الدكتور: بوبكر لشهب،

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الفقه وأصوله، قسم الشريعة، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، والتي عرجت على مقصد العمران والضوابط المقاصدية للعمارة الإسلامية، ويبدو جلياً الاختلاف بين ما تناولته هذه الأطروحة، وموضوع بحثنا، إذ أن كلاً منهما اقتصر على مقصد من المقاصد الشرعية، كما أن بحثنا زاد التخصيص بالبحث في هذا المقصد عند عبد المجيد النجار دون غيره.

#### منهج الدراسة:

تم اعتماد ما يفرضه هذا النوع من الدراسات غالباً: فكان المنهج الاستقرائي من خلال محاولة الوقوف على ما تم كتابته فيما تعلق بالمقاصد الشرعية عموماً، ومقصد حفظ إنسانية الإنسان خصوصاً عند عبد المجيد النجار.

وكذا المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض ما تم جمعه وتفكيك العناصر المتعلقة بالمقاصد ومقصد حفظ إنسانية الإنسان عن طريق الشرح والتفسير ودراسة هذه الأجزاء للوصول إلى رؤية شاملة حول طرح عبد المجيد النجار لهذا الموضوع.

#### خطة البحث:

وقد اشتملت خطة البحث على ما يأتي:

مقدمة.

المبحث الأول: ضبط مفاهيم وشخصيات البحث.

المبحث الثاني: مقصد حفظ إنسانية الإنسان في الواقع الراهن.

خاتمة.

#### المبحث الأول: ضبط مفاهيم وشخصيات البحث.

لقد بذل علماء الغرب الإسلامي جهوداً واضحة في محاولات تنزيل النص القرآني على الواقع في مجالات متنوعة ومتباينة، وقد حاول عبد المجيد النجار توظيف هذا التنزيل على الواقع في معرض كلامه عن مقاصد الشريعة، وفي هذا المبحث سنحاول ضبط المفاهيم المتعلقة بهذا البحث، بدءاً بمفهوم تنزيل النص القرآني على الواقع، ومفهوم مقاصد التشريع، وصولاً إلى ترجمة لشخصية عبد المجيد النجار.

#### المطلب الأول: مفهوم تنزيل النص القرآني على الواقع.

إن المفهوم المرتبط بتنزيل النص القرآني على الواقع لدى الباحثين في تفسير القرآن الكريم هو: "مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية"<sup>1</sup>.

1- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، جائزة دبي للقرآن الكريم، ط1، 1428، 2007، ص33.

و في إطار أعم فقد تكلم عبد المجيد النجار عن "فقه التدين" بوصفه منهجا لتنزيل الدين على الواقع، وأنه ينبغي أن يتأسس على ثلاثة محاور رئيسية، أولها: الفهم أي فهم الدين وفهم الواقع الإسلامي المراد إصلاحه، وثانيها: الصياغة وهي إعداد التعاليم الدينية في هديها المطلق لتكون مشروعا مقدرا على قدر الواقع الزمني الذي يراد إصلاحه، ومعتبرا فيه خصائص الواقع حتى يكون قابلا للتنزل عليه، وثالثها: الإنجاز وهو التنزيل الفعلي للمشروع، الذي وقعت صياغته من حيث كيفية التنزيل ووسائله ومسالكه وأدابه، وتفضي بالتالي إلى أن يؤتي المشروع أكله، في اندراج السلوك الفردي والاجتماعي في الهدي الديني.<sup>2</sup>

فيمكن القول أن تنزيل النص الديني إنما يتم بهذه الآليات الثلاث السابق ذكرها والتي هي مرتبطة بالنص الديني، والواقع، والمجتهد "العقل"، ليتحقق توظيف تنزيل النص القرآني على الواقع، أو ما أسماه هوب "فقه التدين".

وبالعودة إلى التراث الفقهي الإسلامي، فإننا نجد صورة ناضجة لفقه التدين؛ فالمذاهب الفقهية في نشأتها وفي تطورها، ليست إلا اجتهادات الأئمة في تنزيل الدين على واقع الحياة، ولذلك اصطبغت هذه المذاهب بألوان متباينة في المناطق التي نشأت فيها، رغم أنها تقوم كلها على تنزيل الأوامر الإلهية الثابتة، كما يظهر ذلك جليا في كتب النوازل والفتاوى، وكما يظهر الجانب الأصولي أيضا إذ أن من أبرز الأبواب الأصولية التي كرس لها هذا هو باب مقاصد الشريعة.<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: مفهوم مقاصد الشريعة.

لا يمتري أحد في أن كل شريعة شرعها الله للناس إنما ترمي أحكامها إلى مقاصد رمى إليها المشرع جل وعلا، إذ قد ثبت بالأدلة القطعية نفي العبثية، وشريعة الإسلام هي أعظم الشرائع وأقومها، والشرائع كلها خاصة شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل، أي في حاضر الأمور وعواقبها.<sup>4</sup>

وقد تكلم طه جابر العلواني، عن فقه المقاصد بأنه يتأسس على مبدأ اعتماد الكليات التشريعية، وتحكيمها في فهم النصوص الجزئية وتوجيهها، فهو نوع من رد المتشابهات إلى المحكمات، والفروع إلى الأصول، ليربط بين الأحكام الجزئية وصياغتها في قانون عام دلت على اعتبار الشرع له الكثير من الأدلة والشواهد، منتهجا في هذا منهجا استقرائيا شاملا، وهذا القانون الكلي يعتبر مقصدا من مقاصد الشريعة.<sup>5</sup>

2- في فقه التدين فهما وتنزيلا، عبد المجيد النجار، (د، ن)، (د، ط)، (د، ت) ج 1، ص 21.

3- في فقه التدين فهما وتنزيلا، عبد المجيد النجار، بتصرف، ج 1، ص 18.

4- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتاب المصري، مصر، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د، ط)، 2011، ص 15، 16.

5- مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني، دار الهادي، لبنان، ط 1، 1421، 2001، ص 124.

والمقصد الأعلى للشريعة الإسلامية بحسب الرؤية المقاصدية التي نصَّ عليها عبد المجيد النجار هي تمكين الإنسان من تحقيق ما فيه خيره ومصالحته بتحقيق غاية وجوده وهي الخلافة في الأرض، وذلك بصالح الذات الفردية والهيئة الاجتماعية بما يفضي إلى سعادة الدارين.<sup>6</sup>

ويشار إلى أن مفهوم المقاصد لم يغب عن التراث الإسلامي منذ بداية تدوينه، فقد كان حاضرا في أي القرآن الكريم وكذا في السنة النبوية بدلالات العلل والمآلات بما جاءت به أحكام الشريعة، وكان بلفظ المصلحة المتحققة، أو المقصودة من الأحكام، أما مصطلح المقاصد المعروف اليوم، فقد أستعمل من القرن الرابع هجري مع الحكيم الترمذي وغيره، ليصبح فيما بعد مبحثا مستقلا في أصول الفقه منذ الشاطبي في القرن الثامن هجري، لتكون الدعوات اليوم ليصبح مصطلح المقاصد علما على علم قائم بذاته.<sup>7</sup>

### المطلب الثالث: ترجمة موجزة لعبد المجيد النجار.

عبد المجيد النجار: من مواليد تونس 1945، حاصل على درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة في جامعة الأزهر سنة 1981، وعمل أستاذا بجامعة الزيتونة بتونس، كما تولى التدريس بالعديد من الجامعات العربية والأجنبية، فقد عمل أستاذا بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، وأستاذا زائرا بجامعة الإمارات، وجامعة قطر، وعمل بجامعة الأردن، والجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وأستاذا بالمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بباريس، وهو عضو الجمعية التأسيسية الوطنية التونسية، ومقرر لجنة التوطئة والمبادئ العامة لإعداد الدستور التونسي.<sup>8</sup>

فهو عالم المقاصد وأصول الدين وعلم في الفكر الإسلامي، تعرض بسبب انتمائه لحركة النهضة للنفي سنة 1989 وعاد بعد الثورة التونسية في 2011، وهو أمين عام مساعد رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس فرعه في تونس، وكذلك عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، كتبه مفيدة جداً لفهم أصيل متصل مع الواقع.<sup>9</sup>

له عدة مؤلفات، من بينها:

فقه التدين فهما وتزيلا: والذي كان على جزأين من جملة ما تناوله فهما: والذي عالج فيه آليات تنزيل الدين على الواقع "فقه التدين"، وتطرق فيه لعدة نقاط أهمها ما تعلق

6- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2008، ص17.

7- منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1441، 2020، ص173.

8- مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، <https://www.cilecenter.org/ar/node/1128>، تم الولوج للموقع يوم: 2022/10/14، الساعة: 19:21.

9- الموقع الرسمي لمجلة الرشد، <https://alrashad.org/author/3/>، تم الولوج للموقع يوم: 2022/10/14، الساعة: 18:07.

بربطه بين النص الديني والواقع والعقل المدرك، وتفصيله في: فقه الفهم، فقه الصياغة في العقيدة، فقه الصياغة في الشريعة، فقه الإنجاز.

مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: ويعد كتابه هذا "نقطة في التنظير المقاصدي المعاصر، بما حملته من إضافة تعيد التنظير المقاصدي إلى طريق تجاوز النظر الشكلية والجزئي للنص والواقع، وتحقيق النظر الشمولي المتكامل المطبق".<sup>10</sup>

ومن جملة ما تناوله هذا الكتاب: مدخل إلى مقاصد الشريعة حاويا مقدمات عامة حول هذا العلم، وتصنيفات لهذه المقاصد، ثم عرّج إلى مقاصد الشريعة في حفظ: قيمة الحياة الإنسانية، الذات الإنسانية، المحيط المادي، لينتقل بعدها إلى الكلام عن تفعيل مقاصد الشريعة.

وفي كلامه عن مقاصد الشريعة في حفظ قيمة الحياة الإنسانية عالج ذلك في عنصرين رئيسيين أولها مقصد حفظ الدين، وثانيها مقصد حفظ إنسانية الإنسان، وهو الذي نحن بصدد معالجته فيما هو آت.

#### المبحث الثاني: مقصد حفظ إنسانية الإنسان في الواقع الراهن.

لقد شغلت قضية الإنسان التفكير الفلسفي المعاصر بعد أن قامت الحداثة بإحلال الإنسان محل الإله، وأضفت عليه هالة من القدسية، وبإسقاطها للمرجعية الدينية فإنها ظلت تتخبط دون هدي، ليكون ما بعدها "ما بعد الحداثة" نافيا للفكرة المركزية السابقة معلنا سقوط الإنسان أو ما عبر عنه ب "موت الإنسان"، لتدخل الفكر الإنساني في حالة من التخبط والتهمان اللانهائي.

بين هذا وذاك كانت الأحكام الشرعية في الإسلام معلية لمكانة الإنسان عن سائر مخلوقات الله، ضابطة لفكره وسلوكه، مانحة له الطمأنينة بحفظها لفطرته وكرامته..، فظهرت الحاجة الملحة للنظر في مقاصد التشريع انطلاقا من النص القرآني، ومن بين أهم هذه المقاصد التي تكلم عنها عبد المجيد النجار فيما تعلق بالإنسان هو مقصد إنسانية الإنسان.

#### المطلب الأول: القصد من إنسانية الإنسان.

إن القول بإنسانية الإنسان هي "ماهية التي بها كان إنسانا ولم يكن شيئا آخر(..)، فكما جاء التشريع الإسلامي يجعل في أعلى مقاصده حفظ الدين الذي به تتحدد حقيقة الحياة وقيمتها، فقد جاء أيضا يجعل في أعلى تلك المقاصد حفظ إنسانية الإنسان، إذ هي أساس التكليف بالدين".<sup>11</sup>

10 - تطور التنظير المقاصدي في العصر الحديث، شوقي الأزهر، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 23، العدد 90، 1438، 2017، ص39.

11 - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص84.

ومقصد حفظ إنسانية الإنسان الذي تطرّق له عبد المجيد النجار أوسع من حفظ النفس الذي تكلم عنه المقاصديون سابقا لكونه ينحو منحى النفس الفردية، أما في هذا السياق فهو أوسع إذ هو متعلق بحقيقة الإنسانية في كل فرد من أفراد هذا الكائن الإنساني، وأحكام الشريعة مستفيضة في توجيهها إلى حفظ إنسانية الإنسان، وهذا دافع النجار لإفراده كمقصد مستقل.<sup>12</sup>

يضاف لهذا الدافع أيضا ما آل إليه الوضع الإنساني اليوم من اعتداء سافر على إنسانية الإنسان، على كل المستويات (فلسفي ثقافي، عملي واقعي). فكانت الفلسفات العدمية والبعثية والوجودية، كما وجدت أيضا التشريعات التي تلغي الفروق بين الجنسين وتشرع بناء على ذلك للزواج المثلي، هذا غير الهندسة الوراثية التي تسعى إلى الاستنساخ البشري، ما أوجب الكلام عن الحفاظ على إنسانية الإنسان كمقصد شرعي أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية تتوقف عليه حقيقة الحياة الإنسانية ومعناها وغاية وجودها.<sup>13</sup>

كلّ هذا لحفظ ما كلف الإنسان به وهو الخلافة، ولعلّ ما يندرج ضمن هذا المقصد العظيم "مقصد حفظ إنسانية الإنسان" هي: حفظ الفطرة والكرامة الإنسانية، وحفظ غائية الحياة والحرية الإنسانية، وهو ما ستناوله فيما هو لاحق.

### المطلب الثاني: مقصد حفظ الفطرة والكرامة الإنسانية.

من أهم المقاصد التي سعت الشريعة الإسلامية لترسيخها والحفاظ عليها هي الفطرة الإنسانية، كما نص القرآن الكريم على كرامة الإنسان للحفظ على معنى الإنسانية فيه، وستناول هذا في فرعين أساسيين:

#### الفرع الأول: حفظ الفطرة الإنسانية.

والفطرة: "هي الخلقة، أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي ما فطر-أي خلق- عليه الإنسان ظاهرا وباطنا، أي جسدا وعقلا".<sup>14</sup>

"والفطرة النفسية للإنسان هي الحالة التي خلق الله عليها عقل النوع الإنساني سالما من الاختلاط بالرعونات والعادات الفاسدة، فهي المراد من قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.<sup>15</sup> وهي صالحة لصدور الفضائل عنها".<sup>16</sup>

ومن مسالك حفظ الفطرة:

1. حفظ الفطرة من التبديل: كانت الأحكام الشرعية في الإسلام حاتّة على الحفاظ

12- المصدر السابق ص85.

13- المصدر نفسه ص85.

14- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص93.

15- سورة الروم:30.

16- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص95.

على فطرة الإنسان على نحو ما خلقت عليه من وضع، مانعة أن يطالها التبديل والتغيير، فقد قال جل وعلا على لسان الشيطان: ﴿وَلَا مَرِيئَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾<sup>17</sup> والآية كانت في سياق ذم المشركين بما يقومون به من أعمال شركية كتغيير خلق الله في الأنعام، وإن شدد النبي عنه في الأنعام، فشده أكثر فيما يتعلق بالإنسان، ومنه كان النبي عن الوشم والنمص، أو تشبه النساء بالرجال أو العكس، لأنه محاولة للانسلاخ من الأنوثة إلى الرجولة، أو العكس، شاملا ذلك التشبه الجسدي أو النفسي في العواطف والغرائر- التي انتشرت بشكل جليّ في واقع الناس اليوم- كعمليات تبديل الجنس أو الاستنساخ البشري، وكل هذا يندرج ضمن خانة المنع الشرعي حفظا للفطرة الإنسانية في بعدها الجسماني.<sup>18</sup>

أما في بعدها النفسي فقد خلق الله الإنسان على استعداد للنظر في الآيات الكونية للوصول لمعرفة الحق ولكن ذلك الاستعداد قد يهدر بطمسه بالشهوات الغالبة، أو بالتعالي والتكبر، أو بالتقليد الأعمى للأباء والأجداد، فينتهي إلى ما يشبه الإلغاء لتلك الفطرة، ليتساواوا بالأنعام، أو أقل منها درجة، وأكثر منها ضلالا، قال جل علا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ كُرْهُمُ بِسَمْعُونِ أَوْ يَعْقُوبَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>19</sup> فوقع التشنيع عليهم لتغييرهم لفطرتهم.<sup>20</sup>

2. حفظ الفطرة بالتوازن: فيتوازن الجانب المادي فيها مع الجانب الروحي، كما يتوازن العقل مع الأحاسيس والعواطف، وكذا البعد الفردي مع البعد الجماعي في ذات النفس، فهذه الفطرة قائمة على توازن دقيق بين مكونات كثيرة من المتقابلات، ولعل هذا من معاني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>21</sup> فحسن التقويم يظهر أكثر ما يظهر في توازن ما خلق عليه الإنسان من قوى والمركبات المكونة لفطرتة، وليس لذلك التوازن نظير في سائر المخلوقات الأخرى.<sup>22</sup>

3. حفظ الفطرة بالإشباع: فالفطرة الإنسانية كما خلقت على تقدير محدد في ذات مكنوناتها، وفي توازنها، فقد خلقت أيضا أن لتلك المكونات من حيث ذاتها ومن حيث توازنها حاجات مادية تطلب تلبيتها، كغذاء لها به تثبت وتقوى، وتؤدي المطلوب منها، فإن هي حرمت من ذلك الغذاء، فكبتت مطالبها، أو اختلت المقادير التي يقع بها الإشباع بالإسراف في المقادير والشح فيها خلافا لما تقتضيه طبيعتها القائمة على التوازن، أدى ذلك إلى خلل فيها فيمسر وظائفها التعطيل.<sup>23</sup>

17- سورة النساء: 119.

18- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 88، 89، 90.

19- سورة الفرقان: 44.

20- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 91.

21- سورة التين: 5.

22- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 92.

23- المصدر نفسه، بتصريف، ص 94.

والمطالب الفطرية مشروعة في كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾<sup>24</sup>

فهذا إقرار لهذه الفطرة فيما تطلبه من إشباع لشهوات الجنس والولد والمال فتلك طبيعة معتبرة في الإنسان وليست نقيصة أو مذمة فيه.<sup>25</sup>

وكما قصدت الشريعة إلى تلبية مطالب الفطرة، فإنها كانت قاصدة أن يكون ذلك وفق إشباع لحاجاتها، ليحفظ بذلك التوازن بين مكوناتها وتنطلق في أداء مهمتها الوجودية، فالتوازن في تلبية المطالب الفطرية مقصد مندرج ضمن مقصد حفظ الفطرة، فكما تحفظ من التبديل والتغيير، تحفظ أيضا من الميل في ذات مكوناتها، وتلبي مطالبها بتوازن، فلا يعود الإغراق في بعضها بالكبت والإرهاق على بعضها الآخر.<sup>26</sup>

#### الفرع الثاني: حفظ الكرامة الإنسانية.

خلق الإنسان مكرما، وقد قرر القرآن الكريم ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>27</sup>

فالكرامة حق إنساني مكفول لجميع البشر، وقد عبر علال الفاسي في هذا الإطار بقوله: "والكرامة حق لكل أحد برا كان أو فاجرا، تقيا أو عصيا، لأن الجزاء يترتب على الأعمال وهي بحسب صفاتها الشرعية، أما الشخص فهو الإنسان دائما حتى المجرم ينال عقابه ولكن ليس لأحد أن ينال من كرامته بتعبيره وشتمه أو التشنيع عليه بما فعل".<sup>28</sup>

لتكون الكرامة الإنسانية بذلك مشكلة لعنصر أساس مكون لمعنى الإنسانية في هذا الكائن، فشعور المهانة جراء ما يعامل به من تحقير وإذلال وانتهاك للكرامة، فإنه يكون مكسور الإرادة، فلا يستطيع أن ينتج شيئا فضلا أن يكون في مقام الريادة والابتكار، فكانت الأحكام الشرعية الحافظة للكرامة ملغية لكل سبب من أسباب التفاضل المتعلقة بالخلقة الذي نتج عنه مقاييس تتدنى ببعض الناس إلى أوضاع من الدونية والمهانة.<sup>29</sup>

وبناءً عليه أيضا فرضت كفالة الإنسان من قبل محيطه الاجتماعي الأقرب، كما حرمت الغيبة والنميمة والهمز واللمز، والتحریم المغلظ للقدف، بل وحفظت كرامة الذات الإنسانية في آفاقها البعيدة حتى في أحوال السلم والحرب، فحرمت المثلة بالأعداء، وأوجبت

24- سورة آل عمران: 14.

25- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 95.

26- المصدر نفسه، ص 97.

27- سورة الإسراء، 70.

28- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط 5، 1993، ص 235.

29- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 98، 99.

### المطلب الثالث: مقصد حفظ غائبة الحياة والحرية الإنسانية.

إن مما تقوم عليه معاني الإنسانية في الإنسان هو أن لحياته غاية كما أنه حر الإرادة، فإذا فقد هذان العنصران انعدمت حياته، وسينقسم الكلام عن هذا في هذا المطلب أيضا إلى فرعين، أولهما متعلق بحفظ غائبة الحياة، وثانيتها بحفظ الحرية الإنسانية.

الفرع الأول: حفظ غائبة الحياة.

فلم يكن وجود الإنسان في هذه الدنيا عبثا، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾<sup>31</sup>، كما قال جل وعلا أيضا: ﴿ ائْتَسَّبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾<sup>32</sup>.

وقد جاء القرآن الكريم ببيان واف مفصل للغاية التي خلق من أجلها الإنسان، والتي ينبغي أن يتمثلها في نفسه إيمانا، ويسعى فيها عملا، وقد جاء القرآن الكريم في عديد آياته مبينا أن الله تعالى خلق الإنسان لغاية الخلافة، ومضمون الخلافة في الأرض يشتمل على عنصرين أساسيين: أولهما ترقية ذات الإنسان بتزكية الفرد في نفسه وفكره وجسمه، وتقوية صلته بخالقه، وتزكية الهيئة الجماعية بالتراحم والتعاون والتكافل، ليرتقي الإنسان فردا وجماعة في سلم الإنسانية، وثانيتها التعمير في الأرض علما بقوانينها واستثمارا لخيراتهما.<sup>33</sup>

وقد جاءت في ذلك أحكام شرعية كثيرة تجتمع كلها عند أن تحفظ هذه الغائية قائمة في النفس، مثل ما جاء من نهي مغلظ على القنوط من رحمة الله واليأس منها، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اتَّمَرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>34</sup>، فاليأس من رحمة الله أن يشعر اليأس بأن حياته لم يبق لها من غاية، وكما كان التحريم المطلق لأن يقتل الإنسان نفسه انتحارا.<sup>35</sup>

فحفظ غائبة الحياة مقصد شرعي من الضروري استصحابه في واقع اليوم لانتشار الأفكار التفكيكية والعبثية التي تفضي إلى إلغاء أي غاية من وجود الإنسان والكون.

### الفرع الثاني: حفظ حرية الإنسان.

خلقت الموجودات الكونية كلها مسوقة إلى مصائرهما على سبيل الحتم، إلا الإنسان فقد خلق بإرادة حرة يختار بها مصيره، وهو معنى قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

30- المصدر السابق، بتصرف، ص100.

31- سورة المؤمنون، 115.

32- سورة القيامة، 36.

33- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص102، 103.

34- سورة الزمر: 53.

35- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص103، 104.

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَابْتِئَانُ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٣٦﴾ وهذه الأمانة حملها الإنسان دون كل الموجودات بناءً على إرادته الحرة التي بها كان إنساناً.<sup>37</sup>

وحينما تطرأ على النفس عوامل الاستبداد فإنها تفقد قدرتها على الانطلاق فيما تريد لتبدع في الفكر أو في القول والعمل، وهذا عائق على القيام بواجب التعمير، إذ التعمير لا يكون إلا بالمبادرة والابتكار، وأما الارتهان النفسي لإرادة خارجية فإنه مكبل للإنسان، وهو أحد مقتضيات قوله تعالى: ﴿مُرَبِّبَ اللَّهِ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.<sup>38</sup> فالذي ضرب به المثل عاجز، وسبب عجزه هذه العبودية التي سلبت حريته.<sup>39</sup>

ولعل جامع الأحكام الشرعية التي وضعت لتحقيق مقصد حفظ الحرية هي تلك الأحكام المتعلقة بالرق، لتنتهي في جملتها إلى التضييق في مداخلة وأسبابه، وتتفرع على تلك الأحكام أحكام أخرى كثيرة تلتقي عند ذات المقصد الذي هو حفظ الحرية، كالحكم بحرية المعتقد، حرية التفكير، حرية العمل، التنقل، وتحريم الاعتداء على الحريات الشخصية بانتهاك حرمة البيوت والدخول إليها بغير إذن.<sup>40</sup>

فقد كان مقصد حفظ الحرية مطلباً شرعياً ملحاً في العصر الحاضر، لتحقيق المقصد العام هنا وهو حفظ إنسانية الإنسان، عن طريق حفظ فطرته وكرامته، وغائية الحياة، ليتحقق بكل هذا مقصد حفظ قيمة الحياة الإنسانية، كمقصد شرعي وأساسي نص عليه النص القرآني، وعمل رواد الفكر الإسلامي على استحضاره في واقع اليوم.

### خاتمة

لقد عالج عبد المجيد النجار مقصداً مهماً من مقاصد التشريع الإسلامي في إطار حفظ قيمة الحياة الإنسانية، والذي اندرج ضمن عناصر هذا الأخير وهو مقصد إنسانية الإنسان، منطلقاً من توظيفه لتنازل النص القرآني على الواقع، ومن أهم النتائج الأساسية التي خلصت إليها هذه الورقة، والتي تأتي في إطار الإجابة عن إشكالية البحث هي:

• الداعي لإفراد هذا المقصد الشرعي هو ما آل إليه الوضع الإنساني اليوم من اعتداء على إنسانية الإنسان، فكانت الحاجة له لبيان حقيقة الحياة الإنسانية وقيمتها وغاية وجودها، ومعنى الإنسانية يحمل بعداً جماعياً متجاوزاً الإنسان الفرد إلى الإنسان النوع.

• من مقومات حفظ إنسانية الإنسان: حفظ الفطرة والكرامة الإنسانية، وكذا غائية الحياة والحرية الإنسانية.

• من مسالك حفظ الفطرة الإنسانية التي نصَّ عليها الشارع الحكيم هي حفظها من

36- سورة الأحزاب، 72.

37- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 104.

38- سورة النحل: 75.

39- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، ص 105.

40- المصدر نفسه، بتصرف، ص 106، 107.

- التبديل والتغيير، كما تحفظ بتلبية مطالبها لإشباع حاجتها بتوازن.
- الكرامة هي مشترك إنساني نص عليه القرآن الكريم، لتكون بذلك مقصدا قطعيا من مقاصد الشريعة الإسلامية.
  - غائية الحياة مقصد أساسي من مقاصد الشريعة، إذ هذه الغائية مكون مكونات الإنسانية، وبإهدارها ينهدم جزء منها.
  - لقد حققت التشريعات الإسلامية مقصد الحرية ودعت للحفاظ عليه، حتى لا تتعطل ملكات الفرد فلا يعيقه ذلك عن ما هو مطلوب منه من تعمير في أرض الله.
  - جاءت الشريعة لحفظ هذه المقومات حفظا لإنسانية الإنسان، وحفظا من وراء ذلك لما كلف به من مهمة الخلافة.
- وقد خالصنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من التوصيات نجملها فيما يأتي:
- ضرورة البحث والاهتمام بموضوع تنزيل النص القرآني وتوظيفه في المجالات المختلفة، لربط الناس بكلام الله، ومصاحبته لواقعهم.
  - ضرورة عقد الملتقيات والندوات والتأليف في المقاصد الشرعية فيما حاجة الناس إليه اليوم وتفعيلها للدفع بعجلة الأمة الإسلامية لركب الحضارة دون انفصال عن ما نصت عنه أي القرآن.
  - تسليط ضوء أكبر على الإنسان ، بالتذكير بما منحه الله له و الدفع بالإنسان المسلم ليكون فعّالا على مستوى العالم بنشر القيم الإنسانية التي جاءت الشريعة قاصدة لها.

### قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- تطور التنظير المقاصدي في العصر الحديث، شوقي الأزهر، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 23، العدد 90، 1438، 2017.
  - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، جائزة دبي للقرآن الكريم، ط1، 1428، 2007.
  - في فقه التدين فهما وتنزيلا، عبد المجيد النجار، (د، ن)، (د، ط)، (د، ت)، الجزء 1.
  - مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993.
  - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار الكتاب المصري، مصر، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د، ط)، 2011.
  - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2008.
  - مقاصد الشريعة، طه جابر العلواني، دار الهادي، لبنان، ط1، 1421، 2001.
  - منظومة القيم المقاصدية وتجلياتها التربوية، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1441، 2020.
- المواقع الإلكترونية:
- الموقع الرسمي لمجلة الرشاد، <https://alrashad.org/author/3/>، تم الولوج للموقع يوم: 2022/10/14، الساعة: 18:07.
  - موقع مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، <https://www.cilecenter.org/ar/node/1128>، تم الولوج للموقع يوم: 2022/10/14، الساعة: 19:21.